يا أيها المبعوث تقطر عفّة

ويوم بدر قام الصحابة ببطولات رائعة ، منها علىٰ سبيل المثال لا الحصر :

أبو بكر رضي الله عنه كان يُريد قتل ابنه المشرك عبد الرحمن : عن محمد بن عمر قال : وعبد الرحمن بن أبي بكر الصّديق لم يزل علىٰ دين قومه في الشرك ، حتىٰ شهد بدراً مع المشركين ، ودعا إلىٰ البِراز ، فقام إليه أبو بكر ليبارزه!![1] .

عمر رضي الله عنه قتل خاله : ذات يوم قال عمر رضي الله عنه لسعيد بن العاص ومرّ به : إني أراكَ كأنّ في نفسك شيئاً ، أراكَ تظنّ أني قتلتُ أباك ، إني لو قتلتُه لم أعتذر إليك من قتله ، ولكني قتلتُ خالي العاص بن هشام بن المغيرة ، فأما أبوك فإني مررتُ به وهو يبحث بحث الثَّور برَوْقِهِ[2] ، فحِدْتُ عنه وقصد له ابن عمه عليّ فقتله![3] .

أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قتل أباه[4] ، فأنزل الله تعالىٰ قوله : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

. . . وأما الأسارىٰ من المشركين ، فكان للرسول ﷺ أحوال غريبة ، منها : ما رواه يزيد بن الأصمّ قال : لما كانت أسارىٰ بدر كان فيهم العباس عم

---

(١) المستدرك ، الحاكم : ٣/ ٤٧٤ .

(٢) الروق : قرن الدابة .

(٣) سيرة ابن هشام : ٢/ ٢٧٧ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، للحافظ ابن كثير : ٤/ ٣٢٩ .

الرسول صلوات الله عليه ، فسهر ليلته ، فقال له بعض أصحابه: ما أسهرك يا نبيّ الله؟ فقال: «أنينُ العباس» فقام رجلٌ فأرخىٰ من وثاقه ، فقال رسول الله ﷺ: «مالي لا أسمع أنين العباس؟» فقال رجل من القوم: إني أرخيتُ من وثاقه شيئاً ، قال: «فافعل ذلك بالأسارىٰ كلهم»[1].

مثال آخر: عن عائشة رضي الله عنها ، قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمالٍ ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة رضي الله عنها أدخلتها بها علىٰ أبي العاص حين بنىٰ عليها ، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رقَّ لها رقّةً شديدة ، وقال: «إن رأيتم أن تُطلقوا لها أسيرها ، وتردّوا عليها مالها فافعلوا» ، فقالوا: نعم يا رسول الله ، فأطلَقوه وردّوا عليها الذي لها[2].

وهكذا علّم نبيّ الرحمة الأجيال كيف يجب أن يُعامل الأسير ، وذلك بقوله: «استوصوا بالأسارىٰ خيراً»[3].

أجل! يا روح الوجود ، يا من وصفك الله بقوله: ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

زرع المـودّة حيـن طهّـر مكّـة ... وبـأمـر رب العـرش يمّـم قبلـةً

يـا أيهـا المبعـوث تقطـر عفّـةً ... يـا خيـر مـن جـاء الـوجـود تحيّـةً

من مرسلين إلىٰ الهدىٰ بك جاؤوا

لمحمـدٍ طُـرق القـوافـل أُمّنـت ... ولـه العقيـدة والشـريعـة بُيّنـتْ

كـل القلـوب مـن التنـاحر حُصّنـت ... بـك بشّـر الله السّمـاء فـزُيِّنَـتْ

وتضوّعت مسْكاً بك الغبراءُ

---

(١) طبقات ابن سعد: ٤/ ١٣.

(٢) المسند ، الإمام أحمد: ٦/ ٢٧٦.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (مجمع الزوائد للهيثمي: ٦/ ٨٦).

يمضي وربُّ العالمين سلاحه ولنا تشفّع بالسّجود صلاحُهُ
باب السّماحة والتقىٰ مفتاحه يومٌ يتيه علىٰ الزمان صباحُهُ
ومساؤه بمحمدٍ وضّاءُ

* * *